Journal of Alasmarya University
Volume 17, December 2012

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد السابع عشر، ديسمبر 2012

الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام

أ. البهلول علي منصور*

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة: 44] صدق الله العظيم

المقدمة

سأعمل في هذا البحث -إن شاء الله- على معالجة موضوع صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام تحت عنوان (الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام)، وذلك وفق رؤية نقدية تعتمد المنهج التاريخي، محاولاً استجلاء الحقائق من خلال تحليل المضامين، ومطابقتها مع الحقائق التاريخية المعروفة لدى الدارسين في هذا المجال.

وسيكون موضوع الدراسة في حدود الإجابة عن التساؤلات الآتية: مَن موسى؟ وما الأسفار الخمسة؟ وما صحة نسبتها إليه؟ ومتى كتبت؟ ومَن كتبها؟ وما اللغة التي كُتبت بها؟ وهل الأسفار المتداولة حالياً هي نفسها أسفار موسى عليه السلام؟

وسيتم معالجة قضايا البحث بعد التمهيد له تحت العناوين الآتية:

المطلب الأول: التعريف بموسى عليه السلام والأسفار الخمسة.

المطلب الثاني: نُسخ التوراة وتراجمها وأقدم مخطوطاتها.

---

* جامعة الجبل الغربي.

المطلب الثالث: كتابة الأسفار الخمسة.

ومن ثم يخلص الباحث إلى تقرير النتائج المتحققة من هذا البحث.

التمهيد

يتعرّف الدارس لتاريخ الأديان على مسألة جوهرية ومهمة، تعد قاسماً مشتركاً بين أغلب الأديان، وهي النزعة التوحيدية فيما يتعلق بالمعبود، ورغم أن هذه الفكرة تبدو خافتةً في مصادر بعض الأديان، التي طال عليها الأمد، وتدخلت فيها الأهواء والبيئات وحرفتها عن التصور الصحيح لعقيدة الألوهية، ذلك أن الله هو مُسبب الأسباب، وموجِد الوجود وهو المتفرد بالخلق والتدبير والمتصرف في الوجود كيف يشاء، وهذه حقيقة قررتها الأديان السماوية من لدن آدم عليه السلام أبي البشر، إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، واستدل عليها العقل البشري بتفكره في هذا الكون بعوالمه المختلفة.

ولعل مرجع هذه النزعة إلى أمرين: أولهما: كون التوحيد أمراً مركوزاً في الفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله الناس عليها أجمعين، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: 30]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172].

وثانيهما: صحيح العقل؛ إذ يشهد العقل المنزه عن الأهواء والغرض، بأن وراء هذا الوجود البديع خالقاً مبدعاً وإلهاً حكيماً خبيراً، دل هذا الكون على جلال قدره وعظيم سلطانه، ولعل من الشواهد على ما تقدم تقرير بعض الفلاسفة اليونانيين أن الوجود راجع إلى العلة الأولى أو المبدأ الأول للوجود وهو الله، ومذهبهم العقلي في الإليهات معلوم لكل دارس في هذا المجال.

ولنا أن نفهم في هذا السياق العديد من النصوص القرآنية الداعية إلى التأمل في الوجود للتعرف على مبدع الوجود، قال سبحانه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: 35]، وقال جل شأنه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: 17-20].

إضافةً إلى ما تقدم لم يترك الله الناس لفطرتهم التي قد تتأثر بعوامل البيئة

والتربية، ولا لعقولهم التي تَضِل نتيجة الجهل والوهم والأهواء، والتي قد يلحق بإنتاجها الفكري القصور والنسيان والضياع -وهذا ثابت في التاريخ البشري لا يختلف عليه اثنان- لم يترك العليم الخبير والمنعم الحكيم الإنسان في هذه الحياة يعيش كيفما اتفق، بل استوجب عظيم فضله وبالغ حكمته وكمال رحمته أن يرسل الرسل بالدعوة لتوحيده والاستقامة على صحيح دينه، والأخذ بيد الإنسان ليتوائم مع فطرته السليمة، فينسجم ويتناغم مع العوالم التي يحويها هذا الوجود المتنوع، مما يؤهله للقيام بمهمته الأصلية في هذا الكون، وهو عبادة الله في كل أنماط حياته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، ومتى تحققت عبوديته الكاملة لله تعالى، نهض بمسؤولية الاستخلاف في هذه الأرض، وأنجز مهمة عمارة الكون.

ومتى تقررت لدينا عقيدة التوحيد واضحة جلية مشتملة على تنزيه الله عن كل نقص، ووصفه بكل كمال، يمكننا أن نعتمد الحقائق المتعلقة بهذه العقيدة مؤشراً على صحة وموثوقية النص الديني، ومنه نصوص العهد القديم، فمن المعلوم أن النقد الذي يمكن توجيهه إلى النصوص التاريخية وعلى رأسها النص الديني يعالج في جانب أساسي منه النص من الداخل بنقد المضامين التي يعرضها ذلك النص من نواح عدة: أولها: اتساقه مع الخط العام لموضوعات الأديان السماوية وأولها حقائق التوحيد، وثانيها: اتفاقه مع صحيح العقل، وثالثها: توافقه مع الحقائق التاريخية الثابتة لدى المهتمين بهذا الشأن.

أي أن النقد، إما أن يكون نقداً مقارناً، وإما نقداً تحليلياً عقلياً، وإما نقداً وفق المنهج التاريخي.

المطلب الأول: التعريف بموسى عليه السلام والأسفار الخمسة:

أولاً: التعريف بموسى عليه السلام

موسى اسم مصري معناه (ولد) ومعناه بالعبري (مُنتشل)، ولعل مرَدَّ هذه التسمية قصة التقاطه من اليم، وتولِّي فرعون مصر أمر تربيته، و موسى عليه السلام؛ رجل من بني إسرائيل، ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني على الأرجح 1301-1234 ق. م[1].

1- ينظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وجون طمسون وإبراهيم مطر 1000.

وهو «موسى بن عمران، كليم الله، ذُكرت قصته في عدة سور من القرآن الكريم، ولم تفصل قصة كما فصلت قصته، فقد ذكر مولده ورضاعه وزواجه وبعثته ومعجزاته»[2].

وقد تربى موسى في بلاط فرعون تربية أبناء الملوك، ثم اضطر للخروج إلى مدين بين الحجاز والشام، وتزوج هناك بابنة نبي الله شعيب عليه السلام ثم رجع إلى مصر، أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأمره أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون لدعوته ولخلاص بني إسرائيل، فأعرض عنهما فرعون وناصبهم العداء، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل وقد كان ذلك سنة 1213ق. م، وقيل سنة 1447 ق. م في عهد الفرعون (منفتاح) الذي أغرقه الله ونجى موسى وقومه[3].

وخرج موسى ببني إسرائيل إلى شبه جزيرة سيناء، حيث توفى زمن التيه في أرض مؤاب ودُفن هناك، ويعد موسى أعظم أنبياء بني إسرائيل[4].

ثانياً: التعريف بالأسفار الخمسة (التوراة)

«لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ علي مجموع كتب العهد العتيق مجازاً»[5]، و«يراد بها في اصطلاح اليهود: خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده ويسمونها (توراة) أو (بنتاتوك) (Pentateuch) نسبة إلى (بنتا) وهي كلمة يونانية تعني خمسة أي الأسفار الخمسة»[6].

والأسفار الخمسة هي[7]:

1. سفر التكوين (Gensis): ويسمى بالعبرية (براشيت) أي: في البدء، نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدأ بها، وفي اليونانية واللاتينية (جنيزيز) أي: الخلق والتكوين، ويحوي

2- الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال 1781.

3- ينظر: أطلس الأديان، سامي بن عبد الله المغلوث 29، وينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري 402/1، 403.

4- ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع 443/24.

5- إظهار الحق، رحمة الله الهندي 39/1.

6- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز 76.

7- ينظر: نقد التوراة، أحمد حجازي السقا 35 وما بعدها.

سفر التكوين خمسين إصحاحاً.

2. سفر الخروج (Exodus): يسمى بالعبرية (واله شموت) أي: أسماء، وفي اليونانية واللاتينية (أكسودرس) أي: خروج؛ لتناوله خروج بني إسرائيل من أرض مصر، ومجموع إصحاحاته أربعون.

3. سفر اللاويين (Leviticus): اسمه في العبرية: (ويقرأ) وفي اليونانية (لفيتكوس) أي: لاويين نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب عليه السلام، ولاوي ينطق في بعض اللغات (ليفي)، وهذا السفر يتحدث عن شريعة القرابين والنذور والتبرعات وأحكام عملية كثيرة، ويتكون من سبعة وعشرين إصحاحاً.

4. سفر العدد (Nubers): اسمه في العبرية (بمدبر) وفي اليونانية واللاتينية (نومري) أي: عدد ويذكر الكاتب أولاد يعقوب عليه السلام إلى زمن وجود بني إسرائيل في سيناء، ثم يذكر بعض التشريعات العملية، وردت هذه الموضوعات في ستة وثلاثين إصحاحاً.

5. سفر التثنية (Deuteronomy): اسمه في العبرية (هديريم) أي: هذا هو الكلام، اسمه في اللاتينية (دويترونوميوم)، ويسمى أيضاً سفر تثنية الاشتراع وسفر الاستثناء، وفيه تشريعات لم تذكر في الأسفار السابقة، وتشريعات سبق ذكرها، وفيه نبوءات عن النبي محمد ﷺ إضافة إلى ما تقدم يتضمن السفر «نصائح أخلاقية بينها الوصايا العشر، وتلخيص للتشريع الذي قبلته جماعة يسرائيل، ثم خُطب موسى الأخيرة، ثم أفعال موسى الأخيرة، ومعها سرد لأحداث موته. وهذا السفر يختلف من حيث الأسلوب واللغة عن الأسفار السابقة، بل يناقضها أحياناً»[8] ويجمع سفر التثنية أربعة وثلاثين إصحاحاً.

المطلب الثاني: نُسخ التوراة وتراجمها وأقدم مخطوطاتها

أولاً: نُسخ التوراة

1. النسخة العبرية

وهي النسخة الأقدم للتوراة، وعنها تُرجمت النسخ الأخرى، وقد «دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة هي اللغة العبرية، وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض

8- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. عبد الوهاب المسيري 28/1.

المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار وتنم عن العصور التي ألف فيها كل منها، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة أُلفت من أول الأمر باللغة الآرامية، وهي بعض أجزاء من سفري عزرا ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء ...»[9].

ويجب الإشارة هنا أن النسخة العبرية من كتابة عزرا، والتي يعتبرها البعض إعادة صياغة فحسب، وعلى هذا يمكننا أن نتسأل: أين النسخة الأصلية، أي المخطوطة الأصلية لهذه النسخة؟. وهذا ما سيأتي بيانه عند الحديث عن أقدم مخطوطات التوراة.

والنسخة العبرية هي التي يعترف بها اليهود العبرانيون[10] والطائفة البروتستانتية[11] دون غيرها من النسخ[12].

2. النسخة السامرية

وهي المعتبرة المقبولة لدى اليهود السامريين[13]، وهي تقتصر على الأسفار الخمسة ولا تعترف بما عداها من أسفار العهد القديم سوى سفر يوشع وسفر القضاة[14]، ولا يقرون بأن يأتي من بني إسرائيل نبي مشّرع مثل موسى لينسخ شريعة التوراة[15].

3. النسخة اليونانية

وهي أقدم ترجمة عن النسخة العبرية، وتعرف بالترجمة السبعينية؛ حيث تذكر المصادر أن سبعين أو اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر تولوا ترجمتها، وذلك في

9- الأسفار المقدسة، عبد الواحد وافي 19.

10- بعد موت سليمان عليه السلام انقسم اليهود إلى فرقتين ومملكتين: الأولى: العبرانيون وهى سبطا هوذا وبنيامين، واستوطنوا القدس وما حولها وحكمهم نسل داوود سبط يهوذا، قاموس الكتاب المقدس، 597.

11- البروتستانت: كلمة لاتينية معناها المحتج، وقد استخدمت لأول مرة عام 1529م حينما احتج بعض الألمان على الكنيسة الكاثوليكية، ثم أصبح الاسم يدل على جميع الطوائف والفرق النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وتنتشر الكنائس البروتستانية في ألمانيا وهولندا وبريطانيا والولايات المتحدة. الموسوعة العربية العالمية 376/4.

12- ينظر: مصادر النصرانية، مرجع سابق 130.

13- السامرية هم: الفرقة الثانية من اليهود وهم نسل باقي الأسباط العشرة استوطنوا السامرة في فلسطين وهي (سبسطية)، السامرة اسم عبري معناها (مركز الحارس) ينظر: قاموس الكتاب المقدس. 448

14- ينظر: إظهار الحق، مصدر سابق، 148، وينظر: الأسفار المقدسة، مرجع سابق 66.

15- ينظر: نقد التوراة، مرجع سابق 26.

سنتي 282–283 قبل الميلاد[16].

ويعترف بهذه النسخة كل من طائفة الكاثوليك[17] وطائفة الأرثودكس[18]. أما عند غيرهما –كاليهود والبروتستانتيين– فتعتبر ترجمة مزيفة ومحرفة ومزيدة على الأصل الذي ترجمت عنه.

ثانياً: تراجم التوراة

1. الترجمة اللاتينية

وهي ترجمة عن الترجمة اليونانية (السبعينية) غير أنها لم تأت مطابقة لها في عدد من الأسفار، ولم يعرف إلى الآن الأسباب التي أدت إلى الزيادة في الترجمة اللاتينية والاختلاف عن السبعينية.

وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار التي تزيدها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري واعتبرتها كلها أسفاراً وأجزءاً مقدسة، أما اليهود فإنهم يدخلون في القسم الذي يسمونه (الأسفار الخفية) جميع ما تزيد به التراجم عن الأصل العبري.

2. الترجمة الآرامية

ترجم عدد من أحبار مدرسة بيت المقدس العهد القديم من العبرية إلى اللغة الآرامية الحديثة، التي كانت مستخدمة في منطقة فلسطين، وكانوا يدونون الأصل العبري فقرة فقرة ثم يلحقونها بالترجمة الآرامية، واقتصرت الترجمة على الأسفار الخمسة، وقد أطلق على كتب هذه الترجمة اسم (الترجوم) وأشهرها ترجوم أنقلوس Onclos، وقد

16– ينظر: الأسفار المقدسة، مرجع سابق 19.

17– الكاثوليك: هم رعايا الكنيسة الغربية وحاضرتها الفاتيكان بروما وتخضع جميعها لسلطة البابا. ينتشر الكاثوليك في إيطاليا وفرنسا ولتوانيا واسبانيا وامريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا. ينظر الموسوعة العربية العالمية 67/20.

18– الآرثوذكس: هم اتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وهو المذهب الغالب على مسيحي اليونان ومصر وروسيا وأوروبا الشرقية، ويعتقد الأرثوذكس بالتثليب ويقولون بالتجسد؛ أي أن الله هو عيسى وعيسى هو الله. ينظر: الموسوعة العربية العالمية 65/20.

تمت التراجم في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس للميلاد[19].

3. الترجمة السريانية

وقد ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهدين إلى السريانية وهي إحدى شُعب اللغة الآرامية، وقد ترجم عن الترجمة اليونانية، كما ترجمها المسيحيون بفلسطين إلى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة، وهي إحدى اللهجات الآرامية عقب استقلالهم عن الكنيسة السريانية في أواخر القرن الخامس[20] « وعن الترجمتين اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم ... »[21].

ويعتبر الباحثون أن النسخة العبرية والنسخة السامرية والنسخة اليونانية هي المصادر الأساسية للتوراة، ويميزون بينها بكون الأولى: (اليهوية) والثانية: (الألوهيمية)، والثالثة: (الكهنوتية) ويقررون تعدد المصادر لهذه النسخ مع التنافر بينها والتكرار « وبهذا يتضح تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة، جمعها بشكل يقل أو يزيد حذقاً، محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنبٍ، وطوراً غيرَّوا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة ... »[22].

ثالثاً: أقدم مخطوطات التوراة[23]

1. المخطوطة السينائية

يفترض بعض علماء الغرب أن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، وقد اكتشفت سنة 1844م، وهي موجودة بالمتحف البريطاني.

2. المخطوطة الفاتيكانية

ويقترح المختصون أن تكون دونت في القرن الرابع الميلادي، وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان. والنسختان مكتوبتان باللغة الإغريقية (اليونانية)، أما أقدم مخطوطة

19- ينظر: الأسفار المقدسة، مرجع سابق 20-21.

20- ينظر: المرجع نفسه 22.

21- المرجع نفسه 22.

22- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي 29.

23- ينظر: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي 48-49.

باللغة العبرية فهي «التي حصل عليها الدكتور كني كات، وهي نسخة (كودكس لاديانوس).

وقال عنها: أنها كتبت في المائة العاشرة، وقال عنها موشيدي الروسي: أنها كتبت في المائة الحادية عشرة، ولما طبع واندرهوت النسخة العبرية زاعماً تصحيحها تصحيحاً كاملاً، خالف نسخة (كودكس لاديانوس) في أربعة عشر ألف موضعٍ»[24].

ونختم بما نقله العلامة رحمة الله الهندي[25] عن قاموس الكتاب المقدس من نتائج بحوث علماء الأديان الغربيين:

قال الدكتور كني كات –وهو واحد من أبرز علماء فرقة البروتستانت– وكان عليه اعتمادهم في تصحيح أسفار العهد القديم: «إن نسخ العهد القديم التي هي موجودة كتبت ما بين ألف، وألف وأربعمائة ميلادية، واستدل على هذا بقوله: إن جميع النسخ التي كتبت في المائة السابعة أو الثامنة، قد أعدمت بأمر محفل الشورى لليهود؛ لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة النسخ التي كانت معتمدة عندهم»[26].

ما تقدم يثير التساؤل الآتي: هل كانت اللغة العبرية المكتوبة بها الأسفار الحالية معروفة ومتداولة في عصر نبي الله موسى عليه السلام؟ والإجابة على هذا السؤال تتمثل في الآتي:

المطلب الثالث: كتابة الأسفار الخمسة

أولاً: اللغة التي كُتبت بها الأسفار

«من الراجح أن اللغة العبرية نشأت بعد دخول اليهود إلى فلسطين واختلاطهم بالكنعانيين أي بعد وفاة موسى عليه السلام وموسى ولد في مصر ونشأ فيها وتثقف بثقافة أهلها وتكلم لغتهم المصرية القديمة، وبما أن اليهود مكثوا في مصر 430 عاماً[27]، فمن

24– في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، مرجع سابق 46.

25– رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي، نزيل الحرمين، باحث، عالم أديان. ينظر: الأعلام، الزركلي 18/3.

26– المرجع نفسه 45.

27– ينظر: سفر الخروج: 40/12. www.Dictionary of the Bible.

المنطق أن نقول: إنهم تكلموا لغة أهل البلاد أيضاً ... والتوراة نزلت باللغة التي يتكلمها موسى وقومه وهي المصرية القديمة أو لغة أخرى سوى العبرية، وبما أن التوراة الحالية مكتوبة بالعبرية فهي على أحسن تقدير ترجمة لتوراة موسى الأصلية، والترجمة لا تعدل الأصل بحال»[28].

يؤيد ما تقدم ما ذهب إليه علماء اللغات مِنْ: «أن الخط العبري المستعمل عند اليهود في عصرنا الحاضر كان ابتداء استعماله من عصر عزرا الكاتب، ... وهو الخط الأشوري، أما الخط العبري القديم كان خلاف هذا»[29].

ونتيجة للظروف التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل وحالات الفتن والحروب، وتداول الحكم على بني إسرائيل من شعوب أخرى، وبمرور الزمن فقد اليهود قدرتهم على فهم اللغة العبرية التي كُتبت بها التوراة، «ذاك أن اللغة العبرية في أصلها بدون نقط ولا حركات وهذا يسبب أخطاء كثيرة في القراءة، فاهتدوا إلى وسيلة لإزالة اللبس بإدخال النقط والحركات والفواصل، واستمر هذا العمل من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي»[30]، وانتهوا من إعداد النسخة المعدلة في القرن العاشر التي أصبحت تعرف بالنسخة الماسورية[31] التي عنها نُسخت جميع النسخ العبرية والمترجمة.

ثانياً: مَنْ كَتب الأسفار الخمسة

لعله من المعلوم أن الاعتقاد السائد لدى اليهود بأن نبي الله موسى عليه السلام هو من كتب أو أشرف على كتابة الأسفار، ذلك أن الأسفار عليه أُنزلت من الله تعالى.

فقد جاء في الكتاب المقدس: «فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب

28- موثوقية الأناجيل والتوراة، محمد السعدي، 98.

29- الكنز في قواعد اللغة العبرية 58، نقلاً عن: نقد التوراة، مرجع سابق 101.

30- دراسات في اليهودية والنصرانية، مرجع سابق 92.

31- النسخة الماسورية: أصل التسمية (ماسورتي) كلمة عبرية تعني (محافظ) و(تقليدي) والمقصود هنا النسخة التي أعدها رجال الدين المحافظون. ينظر: اليهود واليهودية والصهيونية، مصدر سابق 158/2.

التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهداً عليكم »[32].

ما تقدم يتيح لنا التساؤل، هل الأسفار المتداولة حالياً بين يدي اليهود هي نفسها الأسفار التي أُنزلت على موسى عليه السلام؟

وللإجابة نورد الآتي: يقرر الشيخ رحمة الله الهنديّ « إنه لا سند لكون التوراة المنسوب إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته »[33]، ويدلل على ذلك بأدلة منها[34]:

- أن تواتر التوراة منقطع قبل عصر يوشيا بن آمون[35] والنسخة التي عثر عليها في عصره فقدت كذلك.
- ثبت لدى (سكندر كيدس) [36] أن التوراة المتداولة حالياً ليس من تصنيف موسى عليه السلام وأنها كتبت في كنعان أو أورشليم، ومعلوم أن بني إسرائيل عاشوا عصر موسى عليه السلام في مصر وصحراء سيناء.
- يقول تورتن: « إنه لا يوجد فرق مُعتد به في محاورة التوراة ومحاورات سائر الكتب من العهد العتيق »[37] التي كتبت بعد الأسر البابلي.

ما تقدم يؤيده اعتراض عدد من الباحثين الغربيين على نسبة الأسفار إلى موسى نذكر منهم ابن عزرا[38] في القرن الثاني عشر وكارل ستارت[39] في القرن السادس عشر

32- سفر التثنية 31/24-26. www.Dictionary of the Bible.

33- إظهار الحق 43/1.

34- ينظر: المصدر نفسه 43 وما بعدها.

35- ملك حكم بني إسرائيل ودام عهده من: 638 ق. م، حتى 608 ق. م، وأعاد ترميم الهيكل، وفي عهده إدعى أحد الكتبة العثور على سفر الشريعة الذي يعد نواة لسفر التثنية. ينظر: قاموس الكتاب المقدس 1120.

36- لم أعثر له على ترجمة.

37- نقلاً عن: إظهار الحق، مصدر سابق 45.

38- إبراهيم بن عزرا الغرناطي يهودي مفسر كتاب النصارى المقدس، لغوي فيلسوف، ولد في أسبانيا حوالي سنة 1090م، وتوفي سنة 1164م. ينظر دائرة المعارف البريطانية 1019/11. وينظر www.Britannica.com

39- ألماني من المطالبين بالإصلاح الكنسي ولد عام 1480م وتوفى: 1541م اسمه الحقيق يوديستين Oxford Dietionary of Christian Church p.240 . وينظر: www.oxford Dictionaries

وريشارد سيمون[40] في القرن السابع عشر.

كما أن النصارى الكاثوليك أصبحوا يقرون بعدم صحة القول بكتابة موسى لها[41].

ويؤيد ما ذهب إليه اليهودي ابن عزرا، يهودي آخر فيلسوف وعالم باللاهوت وهو باروخ سبينوزا إذ يقول: « إن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عدة »[42].

ما تقدم يتفق معه ويؤيده الباحث المصري حسن ظاظا بقوله: « إن التوارة الموسوية كانت قد فقدت من المجتمع اليهودي لعدة قرون، بحيث صار من المحتمل أن يكون نصها الذي كتبه عزرا ... مختلفاً جداً عما أُنزل على موسى، فبين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمان. بل إننا نشعر أن موسى، بعد أن مات، لم يحتفظ العبريون من ذكراه بشيء. أضاعوا الرجل وأضاعوا توراته، بحيث مرت أجيال وأجيال لا يذكره منهم أحد، ولا يعرفون حتى مكان قبره ... »[43].

وقد استدل الباحثون بنصوص من العهد القديم على أن الأسفار الخمسة لم تكتب في عهد موسى نذكر منها:

1. جاء في الأسفار الخمسة: « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في الأرض أدوم قبلما ملَك ملِك لبني إسرائيل »[44]. هذه العبارة لا يمكن نسبتها إلى موسى عليه السلام ذلك لأن موسى سبق الملوك المذكورين بزمن طويل وتوفي قبل عصرهم.

2. حكاية وفاة موسى عليه السلام ودفنه في الأسفار، « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفن في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فاغور ولم يعرف إنسان قبره هذا اليوم »[45]. لا شك أن هذا النص أدخل في الكتاب ولم يكتبه موسى، إذ

40- عالم بالكتاب المقدس، ولدم عام 1638م وتوفى عام 1712، نشر عمله الذي أنكر فيه صلة موسى عليه السلام بالبنتاتوك سنة 1978 .Oxford Dictionary p1277. ينظر: www.Oxford Dictionaries

41- ينظر: مصادر النصرانية دراسة ونقداً، عبد الرزاق الأرو 135.

42- رسالة في اللاهوت والسياسة 271.

43- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، 22

44- سفر التكوين 31/36. .www.Dictionary of the Bible

45- سفر التثنية 34 /5. .www.Dictionary of the Bible

لا يعقل أن يصف إنسان حكاية موته ودفنه.

3. تكرر في الأسفار العبارات الدالة على الحكاية والرواية مثل: «وقال الرب لموسى» و« قال موسى للرب» فإن كان المتكلم موسى عليه السلام لزم أن يستخدم ضمير المتكلم.

ويمكن الإضافة للنصوص السابقة نصوص أخرى لا تخطر ببال إنسان مؤمن سوي، ما بالك بنبي معصوم مثل موسى عليه السلام، ومنها على سبيل المثال:

1. جاء في التوراة حكاية عن إبراهيم عليه السلام ما نصه: «وظهر له الرب عند بلوطات ممرا، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم، من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد إن كنت نعمة في عينيك، فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم، واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون»[46].

وضيف إبراهيم عليه السلام في هذا النص حسب زعمهم هو الله سبحانه وتعالى عن أوهامهم علواً كبيراً، وقد ذكر القرآن الكريم أن ضيف إبراهيم كانوا ملائكة[47] أرسلهم الله لقوم لوط عليه السلام[48] قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الذاريات: 24].

2. ورد في الأسفار الخمسة المتداولة عندهم نسبة الندم والتعب والجهل لله[49] جل شأنه وتنزه عن ذلك وتقدس سبحانه، فقد جاء ما نصه: «فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»[50] و«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع»[51] و«فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب»[52] أي أن الرب لا يعلم وبالتالي لا يميز بيوت بني إسرائيل وبيوت المصريين إلا بالعلامة

46- سفر التكوين 18/1-5. www.Dictionary of the Bible.

47- ينظر: جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري 207/26، وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 280/7-281.

48- ينظر: بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي 229، 230.

49- ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم 637/2.

50- سفر الخروج 14/32. www.Dictionary of the Bible.

51- سفر الخروج 23/12. www.Dictionary of the Bible.

52- سفر التكوين 2/2 www.Dictionary of the Bible.

المذكورة.

وبناءً على العرض المتقدم يكمن الخلوص إلى أن التوراة الحالية لبني إسرائيل ليست هي التي أنزلت على موسى عليه السلام للأسباب التي ذكرناها ويبقى السؤال قائماً مَن كتب هذه الأسفار؟ ومتى كُتبت؟

وللإجابة على السؤال الثاني يمكن التذكير بما سبق ذكره عند الحديث عن أقدم المخطوطات للأسفار، وهي المخطوطة العبرية التي خُطت في القرن العاشر أو الحادي عشر.

وأما من كتب الأسفار الخمسة؟ يذهب الباحثون فيه إلى مذهبين:

الأول: عزرا هو من كتب الأسفار الخمسة[53]؛ إذ أن الثابت تاريخياً أنه أعاد صياغة الأسفار مع أنه لم تصل إلينا المصادر المخطوطة التي استعان بها، والظاهر أنه كتبها من محفوظاته ومحفوظات بعض الكهنة أو الاستعانة ببعض النصوص المخطوطة التي فُقدت مصادرها، ومن المعلوم أنه لا أحد من بني إسرائيل يدعي حفظ الأسفار الخمسة، وإنما يكون الحفظ لبعض النصوص.

الثاني: إن كتابة الأسفار قام بها مجموعة من الكتبة[54] في عصور مختلفة، ذلك لتعدد فترات الجمع والتدوين والاختلاف والتكرار بين النصوص، وهذا الأمر ظاهر لكل مطلع على نسخ التوراة، وهذا المذهب هو ما يميل إليه الباحث.

ما تقدم عرضه ونقده في هذا البحث يُسلمنا إلى نتائج عدة نورد أهمها في خاتمته.

الخاتمة

1. ثبوت نزول التوراة على نبي الله موسى عليه السلام وهذا ما تقرره الدراسات في تاريخ الأديان ويؤكده القرآن الكريم في أكثر من نص.
2. فقدان أصل التوراة من بني إسرائيل نتيجة الاضطرابات والحروب، التي مروا بها عبر

53- ذهب إلى هذا المذهب اللاهوتي والفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا. ينظر رسالة في اللاهوت والسياسة 283.

54- من القائلين بهذا الرأي: موريس بوكاي. ينظر: القرآن الكريم والتوارة والإنجيل والعلم 29، وكذلك: وول ديورانت، ينظر: قصة الحضارة 368/2.

تاريخهم.

3. بالمقارنة بين ما ورد تحت عنوان نُسخ التوراة وبينما ذُكر عن أقدم المخطوطات يمكن استنتاج الآتي:
   أ. أن أقدم النسخ ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، غير أن هذه النسخة لم تصل إلينا؛ إذ أن أقدم مخطوطة موجودة حالياً ترجع إلى القرن الرابع الميلادي.
   ب. أن عصر بعثة موسى عليه السلام يقدره الباحثون بين القرن الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد، مع ملاحظة أن أقدم تدوين للتوراة تم بعد ألف سنة تقريباً، وهذا ما جعل كثير من المختصين يقرون بانقطاع سندها، عبر هذه القرون التي فصلت بين نزولها وأقدم مخطوطاتها التي لم تصل إلينا.
4. يترتب على ما تقدم أن الأسفار الخمسة هي جمع للتراث الديني قام به عزرا دون تعريفنا على أصوله وسنده لما جمع.
5. يشهد لما سبق ذكره الاختلاف والتباين بين نسخ التوراة الذي يصل إلى حدِّ التناقض.
6. لعل مرد تفريط بني إسرائيل في الأسفار يرجع إلى قساوة قلوبهم وكِبر في نفوسهم وغلظة طباعهم؛ ذلك أن الله استحفظهم تلك الأسفار فضيعوها وضاعواً بضياعها.
7. بناءً على ما تم عرضه وتقريره في هذا البحث، وإضافةً إلى ما تقدم من نتائج يمكن القطع بعدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.

ثانياً: المؤلفات

1. الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2001م.
2. أطلس الأديان، سامي عبد الله المغلوث، العبيكان للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1428هـ - 2007م.
3. إظهار الحق، رحمة الله الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002م
4. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1984م.
5. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م.
6. بحوث في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1423هـ، 2002م.
7. بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط4، 1428 هـ - 2007م.
8. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، 1423هـ، 2002م.
9. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر، ط2، 1373هـ - 1954م.
10. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط5، 1427هـ - 2006 م.
11. رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.
12. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
13. في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1410هـ - 1990م.
14. قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وجون طمسون وإبراهيم مطر، دار

مكتبة العائلة، القاهرة، مصر، ط13، 2005م.
15. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 2006م.
16. قصة الحضارة، وول ديورانت، تحقيق: محمد بدران، الإدارة العامة للثقافة جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، 1971م.
17. مصادر النصرانية دراسة ونقداً، عبد الرزاق الأرو، دار التوحيد للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1428هـ – 2007م.
18. موثوقية الأناجيل والتوراة، محمد السعدي، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1986م.
19. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1419هـ – 1999م.
20. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار القلم، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، 1959م.
21. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.
22. نقد التوراة أسفار موسى الخمسة: السامرية، العبرانية، اليونانية، احمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ – 1995م.

ثالثاً: مصادر أخرى

1. www.Britannica.com.
2. www.oxford Dictionaries.
3. www.Dictionary of the Bible.